كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية: الاسلام في افريقيا الشرقية

اسم المحاضرة الثانية باللغة الإنكليزية : Islam in East Africa

الصلات القديمة بين بلاد العرب وافريقيا

كانت لأفريقيا جنوب الصحراء صلات تاريخية قوية مع العرب. وكان سكان السواحل وبخاصة اليمنيين والحضارمة وعرب الخليج اول رواد لا فريقيا، وبالتحديد الى الساحل الافريقي الشرقي فقد كانت مصالحهم في هذا الساحل امتدادا لتجارتهم العظيمة في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي بصورة عامة.

ومن الجدير بالاشارة، انه قامت في منطقة الخليج العربي، بالتحديد في العراق اقدم الحضارات في العالم، والذي يهمنا ان هؤلاء عرفوا صناعة السفن، وقاموا برحلات بحرية أوصلتهم الى ساحل افريقيا الشرقي. وتتحدث النقوش السومرية والاكدية التي تعود الى الألف الثالث قبل الميلاد عن ا الصلات البحرية بين الجزيرة العربية والبحرين (دلمون) وعمان (ماجن) والحبشة (ملخا) . وقد عثر على نقش سومري يرجع الى حوالي عام ٢٠٥٠ ق.م يتحدث عن بناء السفن في ماجن والعلاقة هذه الأخيرة وملخا . كما ان الفينيقيين عرفوا الساحل الافريقثي الشرقي ومارسوا التجارة هناك في حدود سنة ١٠٠٠ ق. م.

اما صلات العرب بالحبشة فقديمة جدا وترجع الى عدة قرون قبل الميلاد. وهناك نظرية ان عرب الجنوب - اي عرب اليمن - هم الذين زودوا الساحل الشرقي الافريقي بالعناصر الجزيرية و (السامية). ويعتقد علاوة على ذلك ان غرب اليمن هو الوطن الاصلي للحبش الذين اسسوا "مملكة أكسوم" وكانت المدن الساحلية الحبشية تتمون مما يجلب اليها من اليمن عن طريق البحر .

لقد كان الاوسانيون (نسبة الي اوسان)، الذين اسسوا دولتهم في جنوب شبه الجزيرة العربية وبلغوا اوج الازهار في القرن السابع قبل الميلاد، قد استقروا في (ازانيا) التي يعتقد انها الارض المقابلة لجزيرتي بمبا وزنجبار ومنها توسعوا نحو الجنوب(*) وقد هذا الساحل قديما باسم الساحل

الاوساني مما يظهر مدى سيطرة اوسان عليه. وفي القرن السادس قبل الميلاد هاجر السبيون واستقروا في ارتيريا والحبشة التي سميت باسم تعزية.

وجدير بالذكر ان هجرة سبيئة أخرى : في القرن الخامس قبل الميلاد متجهة اول الامر الى ساحل البحر الأحمر ر ثم توجهت نحو الساحل الأفريقي، كما مد السبتيون طرق القوافل نحو ا المناطق الداخلية.

الملاحظ ان السبئيين الذين عرف عنهم انهم يحارة مهرة عرفوا الفلك واتقنوا اتجاهات الرياح الموسمية ونظموا رحلات بحرية وسيطروا على التجارة في بلاد العرب والشرق حتى القرن الأول قبل الميلاد حيث انتهت سيطرتهم التجارية بفعل تدهور دولة سبأ كما ان هؤلاء كانوا متقدمين حضاريا على سكان افريقيا الشرقية، ولذا نجدهم قد نقلوا الى تلك المنطقة حضارتهم المزدهرة في الجنوب العربي. وتعد. المؤثرات الثقافية ارقي اثر من كل ما ادخله السبتيون من اسباب الحضارة المادية الى افريقيا. فقد ادخلوا لغتهم بحروفها السبئية والحمرية والتي سميت بلغة " الجعيز نسبة الى قبيلة الاجاعز العربية وقد اصبحت هذه اللغة فيما بعد اللغة الرسمية لمملكة أكسوم في الحبشة وشاع استخدامها في المعاملات الرسمية والتجارية ، بل ان هذه اللغة ما زالت حتى لغة الكنيسة وهي من المؤكد اقدم لغة جزيرية (سامية) عرفت في الحبشة.

كما ادخل السبئيون مهاراتهم الزراعية والصناعية وفنون نحتهم بل عاداتهم حتى اصبح الحاميون يعبدون الالهة السبئية . وحين انهارت دولة سبأ بسب الحروب المستمر بينهم وانهيار سد مأرب عام ١٢٠ تقريبا مما سبب قلة الاراضي الصالحة للزراعة وتدهور الاقتصاد أخذ كثير من اهلها يهاجرون الى الساحل الافريقي الشرقي وينشئون مراكز تجارية لتصدير الذهب والعاج .

وتذكر الاخبار ان الساحل الأفريقي الشرقي كان خاضعاً منذ القرن الأول الميلادي لسلطة حكام عرب هم حكام سبا وذي ريدا الذين فرضوا سيطرتهم عل المنطقة بحيث دفع سكان الساحل روابط قربي وتزاوج، كما كانوا يرسلون من ميناء (مخا) في اليمن سفنا يقودها ربابنة عرب يعرفون لغة الساحل ويعرفون سكانه. وتركزت سلطة المعافر على مدينة التجارية التي تشير النصوص الى ان العرب فرضوا سيطرتهم عليها بموجب حق قديم ربما من أيام الاوسانيين .

فالعلاقة بين العرب وشرق افريقيا اذن قوية منذ قرون قبل الاسلام وان تأثيرهم واضح في هذه المنطقة. حيث كان التجار من جنوب شبه الجزيرة وسواحل الخليج العربي اقدم من وطأ هذه المنطقة، وكان قدومهم للتجارة حينا والاستقرار حينا آخر. وعلى الرغم من انهم كانوا قلة من الناس يأتون في مدد محدودة الا انه بمضي الزمن بدا اختلاطهم يشتد بالسكان. ومما يلاحظ ان القبائل الأفريقية لم تتمكن من ان تستوعب او تذيب الوافدين اليها لان مورد العرب كان منهلا لا يكاد ينقطع وترتب على ذلك ان احتفظ هؤلاء المهاجرون بسماتهم المميزة إلى درجة كبيرة. "ظل لاتصال التجاري بين شبه الجزيرة العربية وأفريقيا الشرقية ينمو ويتسع قبل الاسلام، وقد ساعدهم هدوء البحر الاحمر ويسر الملاحة فيه. كما ان الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي مكنت السفن العربية الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة باقل مجهود، ففي الخريف تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الافريقي. وفي الربيع تندفع الرياح باتجاه شمالي شرقي بحيث تمكن السفن من العودة الى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية. ولقد ظلت الرياح الموسمية سرا من الأسرار التي احتفظ بها التجار العرب والهنود لانفسهم الى أن تمكن ملاح اغريقي في القرن الاول الميلادي من كشف اتجاه هذه الرياح. ولعل أقدم صورة وصلتنا . والترابط بين شبه الجزيرة والخليج العربي من جهة وافريقيا الشرقي من جهة اخرى عن طريق البحر الأحمر، هو ما جاء في كتاب احد الملاحين الاغريق المسمى - " الدليل الملاحي للبحر الارتيري . ويصف هذا الكتاب حالة العرب وتجارتهم في الساحل الشرقي لافريقيا، ويعجب من كثرة عدد السفن العربية ومن اختلاط العرب وتزاوجهم مع القبائل الأفريقية، كما يعرض لتعدد العناصر السكانية في وتطلعها الى التعرف على اللغة العربية ومحاولة التحدث بها لما تتيحه لهم من افاق واسعة في التجارة والتعامل

واخيرا لا بد من القول ان العرب بوجه عام، لم يتوغلوا في داخل الشرق الافريقي قبل الاسلام، انما اكتفوا بعلاقات تجارية مع الساحل حيث ان البضائع الافريقية كانت تصل الى المراكز التجارية الى

اقامها العرب على الساحل وتنقلها السفن العربية من هناك الى شبه الجزيرة والخليج العربي. الا ان الوضع تغير بعد ظهور الاسلام حيث شهدت شرق افريقيا هجرات عربية واسعة واستقراراً دائما واقامة كيانات سياسية عربية اسلامية، بل قامت مدن و امارات عربية إسلامية، وهذا ما سنحاول تفصيله في المبحث الاتي.

ومن دراسة العلاقات المتبادلة بين المنطقتين العربية والافريقية يمكن أن نشير الى تدخل الافارقة الأحباش في شؤون المنطقة العربية المقابلة منذ القرن الاول الميلادي حيث بدأت الحبشة في هذه الحقبة بتوجيه أنظارها إلى اليمن وتكررت محاولات الاحباش حتى غزوا اليمن في عهد الملك الحميري ذي نؤاس وذلك عام ٥٢٥م. والحق ان البيزنطيين هو الذين دفعوا الاحباش المسيحيين الى غزو اليمن والتوسع منها نحو الحجاز في محاولة للسيطرة على الطرق التجارية العربية . وقد حاول الاحباش ان يؤثروا في المجتمع العربي وديانته بتشييد اماكن للعبادة في اليمن في محاولة منهم لتحويل العرب عن مكة الى نجران، لكن العرب رفضوا الاحتلال الأجنبي، وشنوا حروبا وغارات على مراكز الاحباش ومعسكراتهم بحيث اضطر ابرهة قائد الجيش وحاكم اليمن الحبشي الي التراجع امام المقاومة العربية. ومن المعروف ان المصادر العربية قد ذكرت هزيمة ابرهة عند حصاره مكة في عام الفيل). ان دوافع الغزو الحبشي لليمن كانت سياسية واقتصادية وان اخذت الطابع الديني ستارا لها، وذلك ان بيزنطة سعت الى الوصول الى الطرق التجارية المؤدية الى البحر الأحمر واخيرا كان الاسلام العامل الأكبر حسما في تحويل موازين القوى حيث انهارت أمامه مملكة الحبشة كما سنفصل ذلك فيما بعد. ومن الطريف الاشارة الى ان للافارقة وجودا واستقرارا في مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، بل ان الكثير منهم كان قد اعتنق الاسلام عند ظهوره . فقد استخدم سكان شبه الجزيرة العربية هؤلاء الأفارقة في حراسة القوافل والنشاطات الحربية.